مناجم البترول

وجبل الزيت

اتصل بنا ونحن نفكر في اختيار موضوع نكتب فيه ان تحافظ البنك الاهلي المصري عازم على استخراج زيت البترول من جبل الزيت وفي نيته ان يأخذ امتيازاً بذلك من الحكومة المصرية

وجبل الزيت هذا على مئة وثمانين ميلاً من السويس جنوباً وقد عُرف الزيت فيه منذ عهد قديم جداً كما يستدل من اسمه لانهُ ينبع منهُ من نفسهِ وكان السكان يستعملونهُ في مداواة الامراض الجلدية وداء المفاصل . والمظنون ان المصريين القدماء كانوا يلفُّون لفائف مومياتهم به وقت تحنيطهم . وقد ذكر السر نورمان تايت الانكليزي تحليل هذا الزيت كيماوياً في كتاب طبعهُ سنة ١٨٦٤

وسنة ١٨٨٤ بعثت الحكومة المصرية بالمسيو دباي (Debay) مهندس المعادن البلجي الى جبل الزيت للبحث عن زيتهِ واعطتهُ ثلاثة آلاف جنيه لينفق منها على هذا البحث ثم قبلت ان تتحمل نفقات البحث كلها الى غرة شهر مارس سنة ١٨٨٦ فجلب العدد اللازمة واقام هو وزوجتهُ ومن معهُ من العملة في تلك القفار الى ان بنى لهُ مسكناً وسير الارض الى عمق ٣٥ متراً فبلغ الزيت في الثامن والعشرين من شهر فبراير سنة ١٨٨٦ اي قبل الميعاد بيوم واحد وخرج الزيت من الارض وارتفع مترين عن سطح البحر

ولما ورد هذا الخبر الى دولتلو نوبار باشا وكان رئيساً للنظار ذهب الى هناك ومعهُ السر كولن سكت مكريف وكيل نظارة الاشغال ليتحققا صحة الخبر وينظرا في الوسائل التي يجب اتخاذها لانتفاع القطر المصري بهذا الاكتشاف اذا كان صحيحاً فثبت لهما بعد البحث

اولاً انهُ لا شك في وجود زيت البترول هناك

ثانياً ان طبيعة الارض مناسبة لوجود كميات وافرة منهُ في الطبقات العميقة

ثالثاً ان سطح الارض هناك مشوب بالزيت الى مسافة بعيدة

رابعاً انهُ كان يمكن حينئذٍ استخراج طنين من الزيت يومياً مع ان الاحوال لم تكن موافقة لاستخراجهِ

خامساً ان ثقل الزيت النوعي ٨٨ .

سادساً انهُ قريب من شاطئ البحر فيسهل نقلهُ

سابعاً ان هناك مرسى امينا للسفن

وقد حفر المسيو دباي سبع آبار بعيدًا بعضها عن بعض فوجد بناء الارض واحدًا فيها ويستدلُّ من هذا على ان زيت البترول موجود في تلك الجهة كلها ويؤيد ذلك ان الزيت يترشح على مسافة بعيدة ثم يسيل الى البحر

فامرهُ نوبار باشا حينئذٍ بان يستمرَّ على العمل فاستخرج خمس مئة طن من الزيت الممزوج بالماء بلغ ما فيها من الزيت الصرف نحو مئة وخمسين طنًّا ولكن سقطت وزارة نوبار باشا في العام التالي فأُبطل العمل في جبل الزيت وبقي مهملاً الى الآن

وتاريخ زيت البترول الاميركي والرومي يدلُّ على انهُ لا يحسن الاغضاء عن هذا الكنز الثمين ولو لم تدل بوادرهُ على ما وراءها من الثروة الوافرة فقد عُرف زيت البترول في اميركا منذ الف سنة فاكثر في عهد سكانها الاولين وكانوا يحفرون لهُ الآبار ويستخرجونهُ منها ولكن لم يلتفت احد من المتأخرين اليهِ الاَّ في اوائل النصف الاخير من هذا القرن بين سنة ١٨٥٠ و١٨٥٥. وفي سنة ١٨٥٤ تألفت اول شركة لاستخراجهِ وحفر رئيسها بئرًا بلغ عمقها ٣٤ قدمًا ووضع فيها انبوبًا من الحديد فصعد الزيت فيهِ من نفسهِ وبلغ وجه الارض وكان ذلك في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٥٩ اي منذ اربعين سنة فقط . ولكن البون شاسع جدًّا بين همَّة الاميركيين وهمة المصريين وغيرهم من ابناء المشرق فقد قلنا ان اول بئر من آبار الزيت الاميركية الحديثة حفرت في النصف الاخير من سنة ١٨٥٩ ولم تمضِ سنتان حتى بلغ الزيت المستخرج سنة ١٨٦١ اكثر من مليوني برميل في كلٍّ منها ٤٢ جالونًا وبلغ سنة ١٨٧٠ اكثر من خمسة ملايين برميل وسنة ١٨٨٠ نحو ٣٥ مليون برميل وسنة ١٨٩٠ اكثر من ثلاثين مليون برميل. وكان عمق البئر الاولى ٣٢ قدمًا كما تقدَّم فصاروا يبلغون في تعميق الآبار ١٨٠٠ قدم . وقد هبط ثمن البرميل من نحو ثمانية ريالات اي نحو ثمانية اعشار الريال . هذا من حيث زيت البترول قبل تنقيتهِ اما اذا نُقِّي حتى يصير صالحًا للايقاد في المصابيح فيقل مقدارهُ ويزيد ثمنهُ فقد كان مقدار الزيت المنقَّى سنة ١٨٦٤ نحو ٢٣ مليون جالون وبلغ ثمنهُ نحو احد عشر مليونًا من الريالات وبلغ سنة ١٨٧٠ نحو ١١٤ مليون جالون وثمنهُ نحو ٣٣ مليون ريال . وسنة ١٨٨٠ نحو ٣٧٨ مليون جالون وثمنهُ نحو ٤٦ مليون ريال وسنة ١٨٩٠ نحو ٦٦٤ مليون جالون وثمنهُ ٥١ مليون ريال . اي ان الزيت القليل الذي كشف منذ اربعين سنة صار يستخرج منهُ الآن ما ثمنهُ عشرة ملايين من الجنيهات مع رخص ثمنهِ

وفي الولايات الاميركية المتحدة اعظم آبار زيت البترول ويتلوها في ذلك باكو وبُرْما وكندا وغاليسيا وبيرو ويابان وطما باكو فرضة في بلاد الروس على بحر قزوين كان زيت

البترول معروفاً فيها منذ القرن وخمس مئة سنة وهو اقسط المشهور وقد استعملهُ اهالي البلاد المجاورة لباكو منذ نحو الف سنة ولكن استعمالهم لهُ كان قليلاً. وكانوا يصدرون شيئاً منهُ منذ القرن الثالث عشر لبلاد ولكنهم لم يكونوا يستقطرونهُ كما يستقطرونهُ الآن وهو يتسمى من نفسهِ في بعض منابعهِ فاستغرب المجوس امرهُ من قديم الزمان وقالوا انهُ النار المقدسة التي يعبدونها فبنوا لهُ الهياكل حول مصادرهِ وهي هياكل النار (اتشگاه) المشهورة وكانوا يحجُّون اليها من اقاصي بلاد الفرس وظلوا على ذلك الى ان دخلت في حوزة الروس وتغلَّبت التجارة على العقائد الدينية فهُدمت الهياكل وأُطفئت النيران واستُخرج الزيت من قلب الارض وأُرسل الى اطراف

المعمورة يستصبح بهِ الناس رضي المجوس او غضبوا. ويعزُّ على المرء ان يرى معبود آبائهِ واجدادهِ يُتهَن ويُتجر بهِ كسلعة من سلع التجار ولكن نواميس العمران لا تراعي عواطف الناس وميالهم. هذه معابد المصريين وهذه تماثيلهم وثيرانهم المقدَّسة اضحت كلها مقاصد للسياح وموارد لاهل البحث والتنقيب لا فرق بينها وبين مشاهد الوحوش وزخارف المباني

وكان الزيت الرومي قليلاً في اول الامر ثم يستخرج منهُ سنة ١٨٦٣ سوى خمسة آلاف طن ثم زاد رويداً رويداً فبلغ سنة ١٨٦٩ نحو ٢٧ الف طن وسنة ١٨٧٦ نحو ١٥٣ الف طن ثم زاد زيادة فاحشة فبلغ سنة ١٨٨٤ مليون طن وسنة ١٨٨٩ اكثر من ثلاثة ملايين طن عدا الزيت غير النقي الذي يستعمل وقوداً في السكك الحديدة والسفن البخارية

وحفرت بئر من آبار سنة ١٨٨٦ فانفجر منها الزيت وطغى على البلاد التي حولها حتى طمى عليها وكان ينبع منها في اليوم احد عشر الف طن او اكثر مما كان ينبع حينئذٍ من كل آبار البترول في المكونة . وخرج البترول من بئر أُخرى سنة ١٨٨٧ وعلا في الجو ٣٥٠ قدماً وبقي يتدفق على هذا النمط حتى تكونت منهُ بحيرة كبيرة جرى الزيت منها الى البحر

وكان نار المجوس التي اخمدتها يد التجارة لا تزال مخبوءة فتستعر مرة بعد أُخرى كما حدث سنة ١٨٨٧ فانها اشعلت اربعة عشر الف طن من زيت البترول وظلت مضطرمة خمسة ايام متوالية

ترى في الصورة المرسومة على الصفحة السابقة بئراً اشتعل الزيت النابع منها فبلغ لهبهُ عنان السماء لكن الناس الذين حولها لا يعبأُون بذلك ولا يخافون من امتداد النار الى سائر الآبار والبرك التي حولهم كما يظهر من وقوفهم امام المصور رابطي الجاش مطمئني الخاطر لانهم رأُوا بالاختبار ان الزيت المكشوف للهواء لا يشتعل ولو وضعت النار فيهِ

وكان الزيت الروسي ينقل من الآبار الى المرافىء البحرية بالبراميل على ظهور الجمال وفي ذلك من المشقة والنفقة ما حال دون اتساع تجارتهِ في اول الامر لكن روبرت نوبل ابا مستنبط الديناميت وضع لهُ انبوباً طويلاً من الآبار الى البحر وصنع لهُ سفناً فيها حياض واسعة ليوضع فيها . فاتسعت تجارتهُ جداً وناظر الزيت الاميركي في اكثر اسواق المسكونة . ونحن في هذا القطر لا نطمع ان يخرج من جبل الزيت ما ناظر بهِ الزيت الروسي والزيت الاميركي في اسواق المشرق ولكن حسبنا ان يخرج منهُ ما يكفينا فانهُ يرد الى القطر المصري كل سنة من زيت البترول الروسي ما ثمنهُ ١٣٠ الف جنيه ومن الزيت الاميركي ما ثمنهُ ٣٠ الف جنيه فاذا كفى جبل الزيت القطر المصري توفَّر لهُ ١٦٠ الف جنيه كل سنة

العمر في القطر المصري

لا يرى اكثر الناس في جداول التعداد الاخير لسكان القطر المصري غير ارقام كثيرة تكاد تكون خالية من المعنى . لكن الباحث المدقق يجد فيها معاني كبيرة وفوائد جمة ومسائل هامة . وقد اوضح بوانه بك المكلف بادارة التعداد بعض ذلك في كتاب نشرهُ حديثاً لكنهُ لم يقابل بينهُ وبين ما يقابلهُ في الممالك الاخرى ليرى المصري نسبة بلادهِ الى غيرها

ومن الحقائق الكثيرة التي استُنبطت من هذا التعداد ان متوسط عمر الذكور في القطر